

« الميثاق » في زنجبار وجعار :

أبين.. مأساة ونزيف مستمر!



نقطتان للجيش ونقطتان أخريتان للجان الشعبية على طول الطريق الرابط بين عدن وأبين بطول ٩٠ كم، نقطة العلم أول موقع عسكري يصادفك وأنت في طريقك إلى أبين بعد مغادرة منطقة العريش بعدن شرقا.. طقمان عسكريان ومدربة ودبابة هي قوام القوات المرابطة في العلم، مررت بصحبة عدد من الاصدقاء والخوف والدعر يصاحبنا مصحوبة بابتسامات الجنود التي ارتسمت أمام عدسات الكاميرا رغم شحوب وجوههم التي أرقمتها معارك الحرب والمواجهات مع تنظيم القاعدة وانصاره.

استطلاع: بليغ الخطابي

مماثلة الحكومة واستمرار هجمات القاعدة يدفع ثمنها المواطنون

غياب الدولة والخدمات وعدم الاهتمام بالنازحين

غادرنا العلم مبكراً وفور وصولنا الى الطريق المزروع الاول يؤدي الى ملعب الوحدة والاخر الى ابين بدأت المشاهد للحياة الطبيعية في منطقة الكود والحرور والمسيير ونحن نوعاً من الطمأنينة والتفاؤل باستقبال الأوضاع وعودة الحياة إلى طبيعتها وهو ما لمساته لاحقاً في مدينة جعار بعكس زنجبار التي بدت لنا مدينة أشباح. بعد العلم تأتي منطقة دوفس، الوادي الذي شهد معارك طاحنة بين الجيش ومسلحي القاعدة وار توى بدماء قتلى الطرفين، حسب رواية المواطنين هناك.. لكنه ظل عصياً على السقوط، بقايا المعارك مازالت ماثلة للعيان، فمعظم أعمدة الإنارة والكهربائية، بل ان المشروع الكهربائي الواصل من عدن الى ابين عبر الاعمدة الخشبية دمر وتقطعت اوصاله، كما هو مشاهد في الصور، دمرت وما تبقى من مواقع يشبه شبكة الصيد الى حد كبير، من خلف الكثبان الرملية الضخمة ظهرت ثكنات الجنود ورؤوس الدبابات والمصفحات وكان الحرب لم تنته بعد.. كما ان انتشار النقاط الامنية بدأ من عدن وحتى ابين مازالت قائمة، مايوحى بحرب او حروب أخرى، حسب توقعات المواطنين.. لكنهم كما يقولون ثابتون وبالمرصاد لكل من تسول له نفسه باقتراب باطن واستقرت محافظتهم..

مأساة الكود

أشبع مناظر الدمار صادقتنا في منطقة الكود القريبة الواقعة في مدخل مدينة زنجبار والتي دفعت ثمن موقعها باهظاً وفيها دارت رحى المعارك طوال الفترة الماضية.. منازل القرية المتواضعة ذات الدور الواحد في الأغلب والمتقاربة تحولت إلى أطلال.. القصف لم يستثن بيتاً في المنطقة، ناهيك عن تدمير منازل بالكامل وبالكاد صادفنا عدداً من المواطنين ليسردوا للقرء تفاصيل مأساة الكود في عدد لاحق.

البحث عن المناجو

عندما اقتربنا من مدخل مدينة زنجبار كانت صورة أشجار المناجو والموز الكثيفة على جانبي الخط في (وادي حسان)، وكلمنا اقربنا تنفسنا الصعداء لما شاهدناه من حضور للناس وتقاطر للراحة والأشياء التي توحى بطبيعة الحياة وتقلل من المصائب رغم فداختها.. ونحن إقربنا أدركنا فداحة الضرر وفضاة المصائب وشاعته، الذي تعرضت له منازل المواطنين وممتلكاتهم الزراعية التي كانت للراهابيين عبارة عن مخائب ولاحتماء من نيران القوات الحكومية. وحسب مواطنين فإن هذه المزارع تنتج فاكهة كميات من المناجو والموز إلا اننا لم نجد الا قليلاً من فاكهة الباباي«الفلفل الأسود» وبعض الموز الاخضر بجانب الطريق كالمعتاد على مقربة من الخط.. كانت بقايا شتلات الموز وأشجار المناجو بايصة تساقطت أوراقتها باستثناء مساحات بسيطة حافظ عليها أصحابها بشق الأنفس.

إتلاف ٧٠٪ من المزارع

يحدث احد مالكي المزارع بقوله: إن أضراراً كبيرة لحقت بالمزروعات نتيجة إغلاق الطرق وصعوبة نقل مادة الديزل وتوفير المياه وهو ما أدى إلى إتلاف المزارع، ناهيك عن الدمار الذي خلفته الاشتباكات وأدى إلى إحراق بعض المزارع بالكامل وكذا عدم توفر أي عاملة نتيجة لنزوح معظم السكان.

يؤكد مزارعون آخرون أن نحو ٧٠٪ من مزارع (الموز والمانجا والعمية) أتلفت أثناء الحرب، وأسعار الديزل ارتفعت، مشاريع الأبار وهمية، بأكثر من (٦ ملايين دولار أمريكي)، وإذا حولنا وضع خطة لهذه الأبار لوجدنا أن الكلفة أقل بكثير من هذا المبلغ الخيالي.

أيش ذنبنا؟

وعلى الرغم من عودة النازحين إلا ان الرعب والخوف والهلع يتناهبهم، فيقول المزارع علي حميضة.. حين عدنا إلى بيوتنا وجدناها منهوبة وأكثرها مدمرة.. وبيضيف: هانحن عدنا وماذا بعد...؟ اين الكهرباء نريد ماء ومدارس... ويتساءل بمرارة وحسرة: أيش ذنبنا نتعاقب بسببهم- عناصر القاعدة الإراهيبية- هم لا يهمهم سوى القتل والنهب، خربوا كل شيء..

وأضاف:

شوف الدمار الذي لحق بأبين.. البيوت والمزارع وكل مكان.. المجرمون ادخلونا بحرب باطلة أحرقت الأخضر واليابس.

حضور اللجان الشعبية

بمحاذاة منطقة الكود صادفنا أول نقطة للجان الشعبية مكونة من شخصين مسلحين فقط وبرميل وعلم الجمهورية اليمنية يرفرف عالياً، اكتفيا بالنظر إلى سيارتنا والرد على التحية بعجل، كان ينتظرنا الكثير من المقابلات وتتلطف عدساتنا لرصد كل المفاجآت وقيل ولوجنا إلى الجسر الواقع في مدخل زنجبار كانت لجنة شعبية أخرى تنصب نقطة ويرتص فيها أكثر من ١٠ مسلحين، وعلى جانبي الخط عدد من المواطنين والأسر بانتظار وسيلة نقل تقلهم وهو ما حفزنا للنزول والاستماع لأفراد النقطة والمواطنين.

يسلم محوري ٢٧ عاماً يقف في أول نقطة للجان الشعبية في مدخل مدينة زنجبار، وكان أحد الذين ساندوا القوات المسلحة والأمن في مواجهة العناصر الإراهيبية، يقول: القتال مع اللجان الشعبية كان واجباً، واستطعنا مقاومة أولئك الخارجين على الإسلام ومنهم من قتلوا والبقية هربوا.

منذ أسابيع او ربما أشهر يقف يسلم في النقطة ويتنقل بين أخرى داخل وخارج المدينة لحماية المدينة، كمايقول، وتوفير الامن ومساعدة الاجهزة الامنية والدولة في مهامها اقتاداً منا بأنه واجب مفروض علينا لحماية بلدنا وارضا واهليتنا.. ويقول إن الجيش هو من يزدو بالنقطة باللغذاء والذخيرة رغم وجود نقص.. وحول المهام التي يقومون بها في النقطة يضيف: نقوم بتفتيش السيارات بحثاً عن العناصر المسلحة والتأكد من إذا كان هناك عناصر تتبع تنظيم القاعدة لنقوم بضبطها..

على مشارف مدينة زنجبار بعد تجاوز الجسر الواقع في مدخل المدينة نتعطف يساراً باتجاه مدينة جعار التي تبعد عن عاصمة المحافظة زنجبار (١٦ كيلو مترا مربعا فقط، لكن نظرا لوعورة الطريق، قطعنا المسافة بأكثر من نصف ساعة، كون معظم أجزاء الطريق ترابية غادرها الإسفلت، وتركت عارية لتحتكي قصة فساد المناقصات ومشاريع الدولة الفاشلة في أبين التي انهارت جميعها رغم المليارات التي أنفقت عليها من خزينة الدولة.

على جانبي الطريق إلى جعار ترتص أراض زراعية ومساحات طينية مجزأة كمرعات طينية تشبه الأحواض، أرض دلتا أبين المشهورة بخصوصيتها مقفرة هذا العام فلم نشاهد أي محصول ناهيك عن أشجار الموز والمناجو اليابسة ونادراً ما صادفنا مزارعين في الطريق يتنقلون على الحمير التي تجر خلفها عربة متوسطة كأفضل وسيلة للنقل هناك.



الحاجة أم محمد التقيناها في الطريق وبدأنا نسألها عن طبيعة الحياة في أبين وفي جعار بالذات، وفي تلك الأثناء يحتشد إلى جوارى واصدقائي الزائرين لهذه المحافظة البائسة عدد من الأشخاص والأطفال من رعاة الأغنام والماعز.. حيث قالت إنها لم تغادر هي ولا احد من أفراد أسرتها منزلهم في منطقة المخزن، وعندما سألتها عن عودة الحياة إلى أبين قالت بلهجة أبينية بسيطة: ماشي كهرياء، ولا ماء، مقدرنا نفلت بيوتنا.. وين نروح؟

وشكت المرأة وعدد من الذين انضموا إليها نقص المواد الغذائية، وعدم تلقيهم أية مساعدات غذائية طوال فترة بقائهم في قريتهم (المخزن).

جعار نجت من الدمار

على مشارف مدينة جعار التي كانت، مركز حكم القاعدة، تشركنا دهشة الفرح ولم يظهر عليها مشاهد الدمار كما هو الحال في زنجبار والمناطق المجاورة التي يمكن وصفها بأنها أصبحت أثراً بعد عين.. وحسب مواطنين فإنهم يستغربون أيضاً ذلك ويقولون أن المدينة نجت بأعجوبة من الدمار.. منازل المواطنين قليلة الأضرار باستثناء عدد قليل من المنازل فقط دمرت بعض أجزائها وطلاتها القذائف وفندق في مدخل المدينة يقال ان عناصر القاعدة اتخذوه مقراً لهم، عدا ذلك كانت بعض المرافق الحكومية خاوية على عروشها حيث طال النهب كل شيء فيها حتى الأبواب والنوافذ لكن جعار عادت الحياة إليها والحركة أسدلت الستار على مشاهد الخراب.

عاد سالم محسن مسرعاً إلى منزله في جعار، حيث يقول: الوضع في جعار بيعت على اليأس، فالخدمات منعدمة، وأحياناً تأتي الكهرباء (ساعتين) في اليوم فقط، نطالب بعودة الخدمات، عاد كثير من النازحين لكنهم ربما سيضطرون للنزوح ثانية لأن الخدمات غير متوفرة... آخرون من العائدين قالوا انهم يفضلون العيش في منازلهم بمناطقهم حتى وان كانت مدمرة هرباً من ارتفاع أسعار المعيشة في عدن التي لم تعد تناسبهم خاصة مع انعدام الدخل لديهم بسبب إتلاف مزارعهم وقتل مواشيهم ونهبها في الاحداث..

وطالب سالم حكومة الولايق بأن توفر الخدمات للشعب- أو يرحلوا- قالها بحزم، وأضاف: لنا أكثر من عام نعاني من الخراب والتدمير في كل شيء لا يوجد أي مرفق صحي، العبادة الوحيدة تابعة للصليب الأحمر من دون كهرياء ولا ماء.

عودة الحياة إلى المدينة

بدأنا التوغل في المدينة، كانت حركة السيارات متوسطة وكثير من المحلات التجارية تعمل على جانبي الطريق مفتوحة وهناك حركة طبيعية للمواطنين وعند وصولنا إلى سوق جعار في تمام الساعة الثامنة من صبيحة السبت ١٢ أكتوبر كان مكتظا بالباعة والمتسوقين وكذا الدراجات النارية..

البحث عن الدولة

الاخ عقيل ناصر يقول: إن مدينة جعار عاشت ولا تزال وضعاً مأساوياً صعباً لا يمت للانسانية بصلة في ظل الانفلات الأمني، وغياب الاجهزة الامنية خلق الفوضى التي عمت المدينة الهادئة وجعل الناس تشعر بخيبة أمل من حكومة الولايق التي ضعفت امام الوضع القائم في

بعملياتهم المفاجئة وتفخيخاتهم التي لا تفرق بين رجل وامرأة وطفل وشيخ..

غادرنا جعار على عجل حينها لم نكن قد زرنا زنجبار بعد، خرجنا بأكثر من علامة ارتياح فلم نجد في المدينة أثراً للجماعات الإراهيبية التي حكمتها لعام كامل باستثناء ثلاث رايات سوداء كتب عليها: «لا اله إلا الله» معلقة على أعمدة الإنارة في سوق المدينة، ربما تركت كشاهد على أن انصار الشر مروا من هنا، وأخرى طبعت على جدران المستوصف الحكومي الذي يتصدر بداية المدينة.

المطلوب..

وفي اعتقادنا ان الوضع القائم اليوم في ظل غياب الاجهزة المعنية قد فتح الباب امام الكثيرين للاجتهاذات وسمح بالتدخلات وترتيب اوضاع بدون تنسيق وتنظيم، وكان مناخاً ملائماً للبيض في ممارسة بعض الاعمال اللااخلاقية والنهب لما تبقى من المصالح الحكومية وممتلكات المواطنين الذين تهدمت منازلهم كلياً أو جزئياً ولم يستطعوا العودة لعدم وجود المأوى والتخوف من اللغلام والذخائر المنتشرة في احياء مدينة زنجبار وبعض احياء الكود والتي راح ضحيتها عدد من المواطنين بعد ايقاف العمليات العسكرية، وهذا الوضع يتطلب سرعة اتخاذ الاجراءات، وسيطرة الاجهزة الامنية المعنية على الامور ومباشرة مهامها بدعم من قيادات الاجهزة المركزية في اعادة قوام وتجهيز هذه الاجهزة للقيام بواجباتها.

رسائل مهمة..

ابناء ابين ظلتموا وتعرضوا لتجربة قاسية لاناقة لهم فيها ولاجل وتحمولوا بصمت كل انواع الظلم والعدوان، ولابد من اعادة الاعتبار لهم وتعويضهم التعويض العادل والعاجل بعيداً عن الخطايا والدعاية الاعلامية والتسويق، والتدخلات والوصاية على استحقاقات المتضررين، والحد من اعمال السمسة، واستبعاد المتسلقين والنفعية ومحترفي المقاولات الفاشلة والمشبوهة.

وعلى ابناء ابين جميعاً بمختلف شرائحهم وانتماؤاتهم السياسية ان يشمروا سواعدهم ويوحدوا صفوفهم وجهودهم لانجاز المهمة الكبيرة التي امامهم، وان يغيروا الكثير ماضي نفوسهم، ويسودو الحب والاخاء والتراحم فيما بينهم، وان يبدأوا مرحلة جديدة من العلاقات الاجتماعية، والانتصار للمظلومين منهم ورعاية المصلحة العامة والابتعاد عن الانا، والوقوف بقوة المنطق والقانون امام كل الممارسات الخاطئة ومظاهر الفساد والامبالاة وتطبيق شعار «كلنا ابين».

ان في ابين من ابناؤها من يمتلك الكفاءة والمؤهل العلمي وهؤلاء يجب ان ينالوا فرصهم في الحياة، وان يتاح لهم الاسهام في عملية التنمية بعيداً عن الوصاية والمحسوبية وترتيب اوضاع خاصة، وان يكون الرجل المناسب في المكان المناسب، وتفعيل دور الاجهزة الرقابية، ومبدأ الثواب والعقاب بكل شفافية ووضوح، وتوسيع المشاركة الشعبية في التخطيط والتنفيذ والتقييم والمراقبة في كل مايعتمل في المحافظة وفي مختلف المجالات.

وان يسعى الجميع الى الحفاظ على تاريخ ابين ودور ابناؤها المشرف في كل المراحل والمنعطفات التي مر بها الوطن، وان تبقى ابين ارض الخير والعطاء والحب.

كلمة شكر للجنود المجهولين :

بعد كل هذه الصور المأساوية والمعاناة لا بد من قول كلمة حق وانصاف لكل من بذل الجهد وخفف المعاناة عن كاهل الكثير من النازحين، ومن عاش بحق معاناة الناس وكرس وقته وجهده لمساعدتهم من الجنود المجهولين الذين وقفوا منذ الوهلة الاولى للنزوح وفي مقدمتهم الاخوان مدير عام زنجبار قاسم محمد حسين ورئيس لجنة الخدمات بمحلي ابين مهدي الحامد وكل الشباب الذين تطوعوا للحصر وتسجيل النازحين.

وللحديث بقية



الدمار الذي حل بالمحافظة شمل الأخضر واليابس، وكذا قتل الابرياء من غير ذنب، بالإضافة إلى اختفاء بعض الشباب منهم من وجد مذنبوا- حسب الاهالي- ومنهم من تم شتقهم وبعض السجناء اطلقنا سراحهم بعد فرار المجرمين.. لكن السؤال هو كيف عادوا اليوم بعد ان قالت الحكومة انها طهرتهم.. فهم اليوم حسب الاخ يهددون أمننا واستقرارنا ويرعبون الاطفال والنساء